

-٤٧-

«نحو اللغة» هو نحو اللباب والجواهر دون تفريط أو إفراط وأهم سماته : المحافظة على المادة الأساسية التي تخدم النطق - وعلى مصطلحات النحو المتعارف عليها بين المشتغلين بالعربية قديما وحديثا - وعلى نصوصه الموثقة شعرا ونثرا - مع التركيز على الجداول الشارحة - وأن يعتمد العرض على الاستقراء والاستنباط من النصوص المختارة والأمثلة التي تحمل ثقافة العصر ولفته لا على المعايير والأقيسة .

وهذه الأمور كلها فى حاجة إلى الشرح والبيان :

\* \* \*

كتاب «نحو اللغة» ينبغى أن يعتمد على «التصفيية والاختيار» التصفيية من «الصنعة» التي سبق بيانها ، و«الاختيار» الذي يتجه مباشرة إلى ما يصف النطق من معارف النحو التي استنبطها علماءه - رحمهم الله - من النصوص وكلام العرب ، فكوت مادة الأبواب والمسائل ، ولنضرب صفحا عما أوغلوا فيه من «اللغات واللغيات والشنوذ والضرورة والاستدراكات والتنبيهات والآراء الجدلية التي تضل الحقيقة بين ثناياها» تلك التي تصل بنا فى بعض الأحيان إلى صحة كل الأشياء وأحيانا أخرى إلى بطلان كل الأشياء» .

ومن المفيد هنا أن أنبه إلى المساعدة التي تقدمها الدراسات اللغوية الحديثة لهذه «التصفيية والانتقاء» ، فالذين عرفوا شيئا عن «المنهج الوصفي» الحديث فى دراسة اللغة يعلمون أن من مبادئه - كما ذكر دى سوسير - «دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها» وأن هذا المنهج يعتمد على وصف النص نفسه لا على ما يتخيله الذهن عنه ، وأنه يعتمد كذلك على منطق اللغة المدروسة دون أن تفرض عليها مناهج دخيلة ذهنية أو منطقية أو فلسفية.

إنه لأمر واجب أن نفيد من «روح المنهج الوصفي» فى التعرف على «نحو اللغة» فى كتبه القديمة التي اختلط فيها الحابل بالنابل ، لنميز بين ما يفيد النطق وما لا ضرر فى تركه .

استخدام «المنهج الحديث» لهذا الغرض أجدى من «حلقة المصارعة» التي ينصبها بعض من درسوه فى الغرب وأتباعهم ، لفرضه على الدراسات اللغوية العربية وبخاصة